مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الانسان في مدينة الله

Man in the City of God

د.شريف الدين بن دوبه*[1]

[1]أستاذ فلسفة الأخلاق، جامعة سعيدة: الدكتور مولاي الطاهر

charif.bendouba@univ-saida.dz

د. كبداني فؤاد[2]

[2]أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر

fouad.kebdani@univ-saida.dz

د.عفيان محمد3

[3]أستاذ فلسفة العصر الوسيط جامعة سعيدة: الدكتور مولاي الطاهر

afiane.philos@gmail.com

تاريخ الارسال: 30/ 10/ 2020 تاريخ القبول: 12/02/2021

الملخص:

شكلت الثنائية والازدواجية المبدأ الأساس في التفكير البشري، فكل أمر كان يفسر بإرجاعه إلى سبب مادي وآخر روحي، إذا كانت مرجعية البحث موضوعية وإذا كانت قيمية فسيكون المادي خسيسا، والروحي شريفا، وبما أن الانسان مدني بالطبع كانت المدينة ايضا مجالا لإسقاط هذا الحكم القيمي عليها. فكانت مدينة ارضية وأخرى سماوية.

ويبقى الإنسان قاسما مشتركا بين المدينتين، وحقل بحث تقاسمته العلوم الاجتماعية والانسانية بجميع تخصصاتها، بدأت بالانتروبولوجيا التي حاولت تفسير الانسان المعاصر من خلال قراءات واستنطاقات للوثائق الماضية، وقد كان الدين الفضاء المعرفي والأخلاقي الأول للانسان، وعلى هذا الأساس كانت المقاربات الانتروبولوجية للدين مدخلا ضروريا في فهم هذا الكائن الذي استشكل على نفسه، وعلة اختيارنا لكتاب مدينة الله للقديس اوغسطين في دراسة الانسان وعلاقته بالغير عائدة الى اشتراك العقائد جميعا في القول بازدواجية المدينة، وتسامي السماوية على المدينة الأرضية، وتقاطعها في القول بأخلقة العلاقات الاجتماعية، في إطار الحب والمحبة التي تستمد جذوتها من المبدأ: الله .

الكلمات المفتاحية:

الانسان، الأنا الغير، المدينة، القديس أوغسطين، كونية الإنسية، الثنائية، الازدواجية.

---

* **المؤلف المرسل:** شريف الدين بن دوبه، **الايميل:** charif.bendouba@univ-saida.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Absract :

Duality was the basic principle of human thought, every matter can be explained by referring it to a physical cause and a spiritual one, the first despicable and the second honorable. The human city was an area of controversy about its natural origin and its higher destiny, and the human being remains the common denominator between the two cities - Earthly City and Heavenly City. The human being continues to be a field of research shared by the social and human sciences in all its specialties, starting with anthropology that tried to explain contemporary man through readings and interrogations of past documents. Religion was the first space of knowledge and ethics for the human being, and on this basis the anthropological approaches to religion were a necessary input in the understanding of this being that formed itself. All beliefs share the idea of the duality of the city, and the transcendence of the celestial over the terrestrial city. The beliefs have also coincided in the creation of social relationships in an ethical framework, their motto is love that has its roots in the beginning: God.

Keywords : The Man, the city, Saint Augustine, the universality of humanism, duality

في البدء:

الانسان أشكل عليه الانسان، فهو الكائن الوحيد الذي يجعل نفسه موضع مساءلة، ومنذ بدء الحياة الاجتماعية وهو يبحث بنفسه عن ذاته، وعن الآخرين، ولازال يصارع من أجل فهم وتفسير ماينتج عنه، وعن غيره من أحداث، وتاريخ الخطيئة الموثق في الديانات يؤرّخ لهذا الصراع مع الذات التي تجعل من الآخر طرفا فيه، فمن تحميل مسؤولية الحياة في الأرض وجريمة قابيل الى المرأة – التي تحمّلت فيها المرأة بجسدها، وروحها ويلات جملة تراكمات ثقافية توارثتها الأجيال – الى اعتبار الآخر النظير بجنسه الثنائي علة لبؤسه وشقائه، وجدل العلاقة بين الأنا والآخر في الديانات أو في التفكير الديني بدأ –جنسيا –أي بين أنا ذكوري وغير مؤنّث، أو أنا مؤنّث، وغير مذكّر، ثم تم زحزحة هذا الصراع ليشمل ماصدق أنواع الطرفين: الرجال والإناث.

يشكل التاريخ البوابة الأساس التي يلج منها الانسان المعاصر الى الماضي وأعرق وثيقة معتمدة في استقراء ومعرفة ماضي البشر تكون من خلال الدين، ولهذا كانت الديانات حقل بحث وتأمُّل لكثير من الدراسات الانسانية فقد عرفت تقاطعا بين مجالاتها البحثية، ولهذا يصبح الولوج في قراءة الوثيقة مثار

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إشكال بين الباحثين، فالنص الديني عند عالم الاجتماع توثيق لراهن، أوحاضر اجتماعي بمكن ان يكون مدخلا لفهم وتفسير كثير من الظواهر الاجتماعية، وتجد انثرولوجيا الديانات في هذه النصوص الانسان الذي تبحث عنه بعيدا عن التعددية الاثنية التي يجعلها الاثنولوجي مادة بحثية له لمعرفة التجليات الثقافية التي تتمظهر بها الديانات، فهي تبحث عن المشترك في الديانات الكبرى والصغرى الالهية والانسانية، وعليه ستكون هذه الدراسة محاولة لمقاربة انتروبولوجية بين الديانات من خلال نص ومادة عقدية مسيحية على قاعدة اقترابها من التصور التوحيدي الاسلامي انطلاقا من مضمون الاية الكريمة:"لتجدن أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا*وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" (سورة المائدة، الاية:82) .

وسنحاول في هذه الورقة البحثية إماطة اللثام على بعض الجزئيات الرئيسة التي لازالت تؤرق الانسان في الحقبة الراهنة، وهي إشكالية طبيعة الأنا، وعلاقته بالغير من خلال نص يعتبر من النصوص المؤسِّسة للعقيدة المسيحية يعود الى عصر الآباء هو كتاب مدينة الله للقديس اوغسطين، ال>ي يعتبر من أمّهات المصادر في الفكر السياسي، وفي انتروبولوجيا الأديان معتمدا لقراءة الانسان، ودلالاته الرمزية.

البيوغرافيا:

القديس أوغسطين علم من أعلام المفكرين في العصر الوسيط اللاتيني، من مواليد سوق الأخرس "سوق اهراس حاليا بالجمهورية الجزائرية، عاصر سقوط الإمبراطورية الرومانية، الذي تزامن مع استيلاء القوط الغربيين على روما في عام 410، وقد أثر الحدث عليه، وساهم في توجيه مسار حياته الروحية. التي يقسمها المختصين في سيرته الى مرحلتين:

مرحلة الشباب والدراسات والنشاط العادي، وبداية قلقه الفكري والفلسفي، وفيها تأثر بسيسرون، كما يقول عبد الرحمن بدوي أبلغ تأثير، إذ أوقد في عقله حب الحقيقة الخالدة، والحكمة الدائمة، كما وجد أوغسطين في العقيدة المانوية ما يرضي نوازعه، كما أولع بعلم النجوم ووجد مبّررا للرذيلة. (بدوي، موسوعة الفلسفة ، 1984، صفحة 248)

أما المرحلة الثانية فتبدأ بنقد المانوية لعدم اقتناعه بشروحها العلمية، وما قدمته حول علم الفلك إلا أنه احتفظ بعلاقات جيدة مع أسقف المانوية، ثم مرّ بفترة من الشك الواعي، والتي انتهت بأن أصبح راهبا ثم مطرانا، وتكرس كمدافع أول عن الكنيسة المسيحية الغربية، وقد ترك الكثير من المؤلفات، والتي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تعكس قوة الفكر، والقدرة الواسعة على الإحاطة بكثير من العلوم، ومنها رسالة في الجميل والملائم، ورسالة في خلود النفس وكتاب ضد الأكاديميين، وفي سفر التكوين، وفي الدين الحق، وكتاب في الموسيقى، وكتاب الاعترافات، مدينة الله، في التثليث، في الطبيعة واللطف: ضد البيلاجيين، ضد أتباع بيلاجيوس، في اللطف وحرية الإرادة، في البدع . (بدوي، موسوعة الفلسفة ، 1984، الصفحات 248-249)

ومما يلاحظ أن القديس أوغسطين لم يكن فيلسوفا بالمعنى الدقيق للكلمة، فرسالته التي كان يؤمن بها، وكرس قلمه لها هي الدفاع عن الدين، فقد كان عالم كلام أو متكلّم في اصطلاح المسلمين، وبصورة خاصة ضد الدوناتيين (أتباع دوناث أسقف قرطاجة وضد البيلاجيين . أتباع بيلاجيوس **pelagius** وهو " رجل دين ينتمي إلى إقليم ويلز في انجلترا، وكان مزاجه أقرب إلى الروح الإنسانية من معظم رجال الكنيسة في عصره، رفض فكرة الخطيئة الأولى، وأقرّ بأن الإنسان يمكنه بلوغ الخلاص بجهوده الخاصة إذا اختار أن يحيا حياة فاضلة (راسل، 1983، صفحة 200)

ولم يكن أوغسطين سياسيا، ولكن بعد سقوط روما اتهمت المسيحية بمسؤولية الكارثة، فإله المسيحية لم يقدر على حمايتها؛ فشمّر، وقرّر الدفاع عن المسيحية، وإبطال حجج الخصوم، فكان ميلاد كتاب مدينة الله الذي قدم فيه مجموعة من الاستدلالات على طبيعة الانسان وأفعاله التي تكمن وراء سقوط الدولة (أمبراطورية روما)، والمسيحية كعقيدة لا تتحمل مسؤولية انهيار الدولة، فالإنسان بسياقاته المتعددة الفردية والجماعية وراء هذا الانهيار، وعليه تكون العلاقة بينه وبين أنظاره جوهر وعلة هذا الانحطاط، فكانت هذه الدراسة تأريخا لحدث تارخي، وقراءة راهنة واستشرافية لطبيعة الانسان، الذي يلجأ دوما الى تبريرات لأخطاء التي يحدثها، فالكتاب كما يقول توشار:"لا يُمثِّل عقيدة متكاملة ،فهو بصورة خاصة توسطا متحمسا لمسيحي روماني السيرة، يتنازعه أمام تفتت الإمبراطورية التي تترنح حياتها بين الضياع والرغبة في مواجهة الواقع، والاطمئنان العميق بأن شيئا سوف ينبثق من الركام" (توتشار، صفحة 100)

المدينة والدين:

المدينة والدين مفاهيم عرفت في الموروث الذهني للافراد تقابلا ضديا يوحي بالاتجاه العكسي الذي يسير فيه كل حد مقابل الآخر، فالدين يحمل في مضامينه القيم الروحية ومبادئ الفضائل التي يتعالى و يسمو بها الانسان على السوائم والدمى الآلية، أما السياسة فهي الضفة التي تضم الشهوة،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والانانية، والمصلحة، والتقعيد المكيافيلي للنظرية السياسية يؤكد هذا الحكم، والرجوع الى الفكر السياسي يخبرنا عن الموروث السيء الذي يحمله البشر اتجاه السياسة، فهي تسير وفقا لمبدأ المصلحة، فالعلاقة بين دولة و أخرى تظهر في الحرب كما أكّد ذلك الاغريق.

ولكن القراءة المتأنية للمفاهيم الدينية تكشف لنا عن الدور القاعدي للثقافة الدينية في بناء الشخصية الفردية، والجماعية، فالانسان ككائن متفرّد في المبدء ببنيته البيولوجية والنفسية، إجتماعي أيضا بعلاقاته الحيوية والثقافية، لدرجة تصبح فيها طبيعته الأولى مثقفة أي مصاغة في أطر ثقافية ورمزية، وعملية وضع الانسان بين مؤشر الدين والمدينة يؤسّس لميول جديدة يصعب تصنيفها في إطار متميز مدني أو ديني، والدلالات العامة التي يقترن فيها الدين لا تخرج عن سياق نكران الذات، واعتبار الطبيعة البشرية ميّالة الى الشر بطبيعتها، في حين تكون الدلالة لمدينة الأرض، مقابلة لمدينة السماء، وهي مسألة لا زالت حاضرة في الوجدان الانساني لحد الآن، وزئبقية العلاقة بين الأنا والغير في الواقع الاجتماعي نتيجة التعارض بين الاملاءات القانونية المدنية، التي ترتبط بمدينة الأرض، والقيم الروحية والأخلاقية التي جبلت عليها الطبيعة الانسانية، والتي تجد مبتغاها في مدينة السماء.

وسنستأنس في هذه الدراسة بالقديس اوغسطين الجزائري المولد والمواطن الروماني – بحكم الاحتلال الروماني لشمال افريقيا– الذي كانت كتبه من امهات الكتب في الفكر السياسي، وتمييزه النسبي بين مدينة الله والمدينة الأرضية مدخل لفهم اشكالية العلاقة بين الأنا والغير، فالجدلية والتذبذب في طبيعة المدينتين يرجع الى اعتقاد خاطئ تكون من تجارب سابقة، وهذا ما نلاحظه من خلال التمثيل الذي يستأنس به القديس اوغسطين.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المدينة الأرضية:

الحديث عن مدينتين: مدينة ارضية ومدينة سماوية خطاب قيمي بالأصالة، حيث اقترنت الأرضية بالجانب الحسي المادي الذي يتقاطع فيها الانسان مع كل ما هو حي، أما مدينة السماء، فالمقاربة بين السمو والتسامي والسماء كاف للتدليل على العلو والتعالي الذي يميّز مدينة الله أو مدينة السماء في مقابل مدينة الأرض، والانسان هو جوهر المدينتين، فلا مدينة قبلا أو بعدا دون وجود هذا الانسان، والغريب أنه حقل ممارسة لقوتين:سلطة الأرض، وسلطة السماء، وما نروم معرفته من هذا التصنيف الأوغسطيني طبيعة هذا الانسان وهل يكون بجزئه الرضي ملاكا في السماء، أم عليه أن يتمثل قيم وحياة الملاك في الأرض حتى يحقق هذه المنزلة.

أ. السلطة الزمنية:

الدولة كمؤسسة مدنية، وسياسيّة في المعتقد المسيحي، قائمة على السيطرة والتسلط الممارس من طرف هيئة أو مجموعة أفراد، وهي غريبة على الطبيعة البشرية، نتجت عن الخروج من عالم الملكوت، الذي كان فيه آدم عليه السلام، فالحالة السياسيّة طبيعة ثانية مرتبطة بالخطيئة والإثم الذي كان وراء الخروج أو الطرد من عالم الملكوت، فالقبول بالسيطرة والسلطة هو تكفير عن الخطيئة، وعن الغرور الناشئ عن الأنانية أو حب الذات الذي يحتقر المساواة الطبيعية التي تقرّ بالشراكة الإنسانية، المبنية على دعامة الاشتراك في البنية الخِلقية، ووحدة المبدأ، والغاية.

يقول القديس أوغسطين: " لقد أراد الله أن لا يسيطر الكائن العاقل،المخلوق على شاكلته ،إلاّ على كائنات غير عاقلة؛ لقد أراد أن لا يسيطر الإنسان على الإنسان وإنّما على الحيوان، وجميع أشكال السيادة في نظر أوغسطين ستنعدم فيما بعد الزمان، أي في مملكة الله، باعتبار أن الله سيكون الكل بالكل (شوفالييه، 1998)

وشرعية السلطة نابعة من فكرة الخطيئة، فكل سلطة قائمة في هذا العالم ينبغي أن تمجد، حتى من قبل أولئك الذين هم أفضل منها، وفكرة التوفيق بين سلطة الحاكم الجائر، ومبادئ الله يسميها المزاج العادل، ويستعين أوغسطين بالرمزية القائمة على معطيات تاريخية لتوضيح هذه الحالة، عندما تحدّث عن الجنود المسيحيين لجوليان المرتد، فقد كان هؤلاء يرفضون مدح الأوثان، لكنهم كانوا يقبلون السير

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

للمعركة.لقد كان هؤلاء يميزون بين سيدهم الأبدي وسيدهم الدنيوي، ومع ذلك فإنّهم يطيعون السيد الدنيوي، بغية إرضاء السيد الأبدي (شوفالييه، 1998).

يعتقد رجال الدين في المسيحية أنها عقيدة قادرة على تحويل المواطنين أخيارا، أوبالأحرى هي التي تملك القدرة على إكساب البشر السعادة الدنيوية،والأخروية، وجميع الديانات تتقاطع في هذا التصور، الذي يكون سببا كافيا في نشوء المذهبية، والتطرف، واتهام المسيحية بأنها مصدر، وعلة سقوط الامبراطورية الرومانية تهمة كافية لدفع علماء المسيحية للدفاع، والذب عن عقيدتهم ،فهي دعوى واهية في اعتقادهم، والدليل على ذلك يرجع إلى الوقائع التاريخية، وليس الحجج العقلية، فتاريخ هذه الإمبراطورية تأسّس على الحرب، فالماضي الدموي لهذه الإمبراطورية علة السقوط، وليست هي المسيحية.

الحياة الزمنية إذن تكون دار ابتداء تعدّ تحضيرا للانسان لأبدية مطلقة، وخالية من الشرور والآلام، والمصائب، فهي ليست للمسيحي مجرد امتحان وتأديب وفي الواقع أداة لتربية إلهية، ففي نظر أوغسطين كل ألم جماعي أو فردي، يجب أن ينظر إليه، أولا كعقاب صريح على أخطاء جسيمة، إن الألم الذي ينجم عن الحدث، يجب أن يكون لكل فرد مناسبة لتوبة وللتقشف، وهذا لا يمكن أن يقود المسيحي إلا إلى محاسبة صادقة للذات، فكلما كانت الأزمة جسيمة، على الإنسان أن يختار الوجهة المعطاة لوجوده والتي تضعه امام مسارين: المواطنة العادية في المدينة أرضية، أو امينا في مدينة الله.

وهذا يعني العودة الى المدينة الأولى التي يفترض الحياة فيها، وبالكيفية التي أرادها الخالق، فقد كانت الحالتين حاضرتين في وقت واحد، في صورة مابالقوة كما يصطلح على ذلك الفلاسفة قبل النزول الأرضي، و بعد الهبوط بدأ الصراع في التجسُّد، فكانت الثنائية ، وكان التناقض والصرالع الذي انعكس على بني البشر في علاقاته مع ذواتهم ومع بعضهم البعض، فالمدينتان تقومان على مبداين متغايرين: حب الذات، حب الله، وتجليات الثنائية كانت وراء ظهور الطبقية الاجتماعية، ففقد:"..كان بنو اسرائيل ممثلو المدينة الأولى، وباقي الشعوب هم المدينة الثانية، ولما جاء المسيح انتهت هذا التماتيز وعادتا الى الاختلاط كما ككانتا منذ الخليقة حتى مجيء ابراهيم واليوم هم ملتقيتان تنتفع المدينة السماوية من خيرات المدينة الارضية، ويتشاركان. الا ان خيور الاولى هي وسائل لكسب العيش، والمحافظة على الفرد النوع، ولتحقيق الخير الأسمى الذي هو السعادة الممزوجة بالفضيلة." (زيعور ، 1983، صفحة 226)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ب. الطبيعة البشرية:

يُحايث الاهتمام بالطبيعة البشرية التاريخ الوجودي للإنسان، واشتغال الكثير من الشرائح الفكرية، والنخب بهذه المسألة نابع من الضرورة الأخلاقية التي يفرضها البعد الجماعي للإنسان، فهي في التراث الديني مشوبة بكثير من الغموض الذي اكتنفها نتيجة اختلاط الحقيقةي بالمتشابه لأن الحركة الاجتماعية لا تزامن طبيعة الزمن، بل تركن الى كثير من الحقائق، وترضى بالسكون ميلا منها الى التقاعس، وهذه الحقائق التي تعتقد في صحتها، هي بطبيعتها أو بالأصل حركية، وليست سكونية، والاستقرار عند حقيقة ما يتعارض مع الطبيعة البشرية في حركتها نحو الكمال.

البحث عن الذات حجر الزاوية في بلوغ المعرفة عند القديس اوغسطين، وتعتبر الدراسة تأسيسية للهوية والانطولوجيا الانسانية، والتجربة الشخصية التي مر بها دليل على أهمية هذا السبيل، فالانتقال من وضعية وجدانية الى أخرى حسب ما أشرنا اليه في مرحل تطوره الروحي من القلق الى اكتشاف الذات في المسيحية، تبين أصالة البحث عن الذات داخل متغيرات المجتمع الثقافية، يقول أوغسطين في كتاب الثالوث:"كيف تبحث النفس عن ذاتها وتجدها، إنه سؤال مقلق جدا، أين تمتد لتبحث عن ذاتها، ومن أين أتت لتجد ذاتها..؟" (فريس، صفحة 98)

والملاحظ من خلال تاريخ البحث في الطبيعة مطابقة الكثير من الباحثين بين الطيعة والنفس، وفي الحقيقة أن النفس لا تمثل الا جزءا من هذه الطبيعة، فالجسد كقالب وإطار مادي رئيسي في توجيه وإدارة النفس، إذ غالبا ما تصبح النفس أداة طيعة بيد الجسد، وهذا ما يلمس في أحداث التي يتركها الانسان عبر التاريخ، فالنفس ليست خاضعة بالضرورة لاوامر الجسد حسب القديس، بل هي مالكة لهامش من الارادة والوعي الذي يلمس في ارادة وحرية الاختيار، يقول أوغسطين في **كتاب الموسيقى** :" لا تخضع النفس مطلقا للجسد كما تخضع المادة للعامل. وإذا ما كان الجسد يولِّد في النفس بعض الانسجام، عندما نسمع مثلا، فإن ذلك لا يحدث في النفس انسجامات مشتقة كتلك التي نسمعها في الأصوات." (فريس، صفحة 89) . فمعرفة الذات وإدراك الحقائق الأزلية الأبدية الكامنة في الذات، وإدراك عللها، التي من جنسها، كامن فيها بالطبيعة، فهناك تطابق بين الصور، وعللها، والغرض الذي يقصد إليه هو بيان ارتباط المعاني بالله، والذي يظهر في قوله:"فهناك موجود أزلي أبدّي، وهذا الموجود هو الله، والوجود والماهية شيء واحد، ولهذا فإن الماهية التي نتصورها لله في نفوسنا تقتضي الوجود، ففكرة الله الموجودة في

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

نفوسنا تقتضي وجوده أيضا. فالله إذن موجود." (بدوي، ،فلسفة العصور الوسطى، 1979، صفحة 26)

الطبيعة البشرية تعايش الثنائية قبليا، ولا يمكنها تجاوزها او تخطيها، فحسب اوغسطين الطبيعة أو الانسان يتألف من عنصرين أحدهما خارجي هو الجسد، والآخر باطني وهو الروح، فحسب ما جاء في الاعترافات:"وأدرت النظر الى نفسي وقلت انت من تكونين؟ فأجبت انا انسان ولي في خدمتي جسم وروح هما هكذا في الأول خارجي والثاني باطني.." (اوغسطين ، 2012، صفحة 304)

ت. العلاقة بين الأنا والآخر (المواطنة)

إشكالية الأنا والآخر من المسائل الأنطولوجية التي كانت ولازالت تطرح في ساحة العلوم الاجتماعية، والانسانية، فالتضاد الجنسي بين مكونات المجتمع، وبين الملكات النفسية والعضوية، والتفاوت الاقتصادي أنتج أشكالا من الصراع بين بني البشر، يظهر في الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها البشرية: المشاعية، العبودية، الاقطاعية، البورجوازية، الراسمالية، الاشتراكية، العالمي .. والتي لم تعمل على حل مشاكل الانسان بل زادت في تعقيد انشغالات الانسان بشكل رهيب.

واهتمامنا بالبعد الروحي أو الديني من خلال مدينة الله الاوغسطينية يرجع الى الحضور القوي والدائم لهذا العنصر الديني في حياة البشر، فمهما تجاوز أو حاول الانسان التمرّد عن القيم الدينية والروحية، فإنه يبق أسير طبيعته الروحية التي تكمن داخل منظومتة القيمية، فمهما حاول الفلاسفة تجريد القيم من أساسها الروحي أو الدين فستكون مجرد محاولات فاشلة.

لم يجعل أوغسطين من البعد الروحي في الانسان عامل إقصاء للجانب الاجتماعي في الانسان، بل عمقت الارادة الالهية العنصر الاجتماعي، إذلم يخلق من أجل أن يكون وحيدا، والأخر ليس جحيما كما ينظر الى ذلك الفلاسفة، بل الآخر ليس نعيما فقط بل الحياة من دونه ستكون مجرد جحيم، فوحدة الأضل مقدمة لتأصيل روابط الوحدة، فنحن إخوة انطلاقا من وحدة الأصل يقول:"لقد خلقه وحيدا ومنفردا، لا ليتركه في عزلته بعيدا عن كل تجمع انما ليغرس فيه بشكل أعمق الوحدة الاجتماعية والرابطة الودّية التي تاتي من رابطة القرابة التي تربط بين كل البشر من خلال الحب أكثر مما تأتي من التشابه في الطبيعة، ولذلك لم يرد خلق المرأة رفيقته مثلما خلق الرجل بل خلقها منه حتى ينحدر الجنس البشري من انسان واحد" (الخضيري ، 1998، صفحة 142)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وتلمس العلاقة المدنية بين الأنا والاخر عند اوغسطين من خلال قراءته الذكية للواقع السياسي، حيث كان السياق القانوني للعلاقة بين الأفراد مقنن في صيغة المواطنة الرومانية التي أخذت في المجتمع الروماني بعدا قانونيا، خلافا للمواطنة الاثينية التي كانت تحرم الغرباء والنساء من حق المواطنية، ففي الامبراطوية الرومانية أصبح الأجانب أو الغرباء ذوي حق في المواطنة، والقديس أوغسطين كفرد بربري كما كان الرومان يصطلحون على كل غريب، أوكل من ليس رومانيا من بونة (عنابة حاليا) استطاع أن يحرز على حق المواطنة الرومانية، التي كانت وثنية المعتقد، ونتيجة التحول الروحي الذي عايشه، أصبح يعتقد في المواطنة المزدوجة التي تكون من الناحية السياسيّة أسلوب ذكي في تجاوز الضغوط التي كانت تمارسها الحكومة الرومانية على المؤمنين المسيحيين وقصة أهل الكهف تسجل المعاناة التي عايشها هؤلاء المؤمنين.

ومن خلال النص الاوغسطيني يظهر أن التعامل مع الرومان كغير مختلف عقديا، وليس انطولوجيا لا يكون الا من خلال شروط تسمح بتأسيس مدينة الأرض، والسعي بالفكر، والسلوك يوصل بالمؤمن إلى عالم الملكوت أو مدينة الله، والأساس الذي يعتمده في التأسيس لهذه الازدواجية المدنية في التعايش مع الاخر تقوم على مبدأي الخير والشر، وعليه يكون السعي نحو تلبية الحاجات الحيوية جزء من الطبيعة البشرية لا يمكن إقصاءه، والرغبة في تجاوز هذه الطبيعة من الطبيعة نفسها؛ فالرغبتين المتضادتين تؤسس لمدينتين، مدينة الله التي تقابلها المدينة الأرضية، فجميع المجتمعات البشرية تعود إلى هاتين المدينتين (السعود، 1997، صفحة 40) .

وهي ما تمثل في الثقافة المسيحية بفكرة الولاء المزدوج التي تدور حول وجوب خضوع المسيحي او الانسان على وجه أعم لنوع من الولاء المزدوج انطلاقا من ازدواج طبيعته، فالإنسان يتكون من روح وجسد والروح تتوجه بالولاء نحو خالقها، والذي تظهر سلطته في الأرض من خلال الكنيسة. أما الجسد فيتوجه بولائه إلى السلطة الدنيوية ممثله في الحكومة الإمبراطورية، وهكذا خرجت إلى الوجود نظرية السيفين أو ازدواج السلطة على أساس وجود نوعين من الوظائف في المجتمع، وظائف خاصة بالقيم الروحية والأخلاقية، وتتولاها الكنيسة وتراقبها، ووظائف تتعلق بالمحافظة على الأمن والنظام، وتحقيق العدالة وتتولاها الحكومة.

والحجج التي يعتمدها اوغسطين في إثبات هذه الرؤية تاريخية، فتاريخ الإنسان السياسي يسير وفق هذه السنة التاريخية ،فمنذ هبوط آدم إلى اليوم هناك مدينتين ،مدينة مع الله، وأخرى مع الشيطان، وينتمي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

(هابيل) إلى مدينة الله، وقد شاءت رحمة الله،وما خطّه في لوح القدر، أن يكون هابيل زائرا على هذه الأرض، على أن يظل منتميا إلى السماء باعتبارها موطنا له، وكذلك ينتمي الآباء الرؤساء إلى مدينة الله.." (راسل ب.، 1968) والانتماء لمدينة من المدينتين حسب أوغسطين أو" ما يجعل الشخص عضوا في مدينة أو أخرى من هاتين المدينتين ليس الجنس، أو الأمة التي يدعي أنها أمته وإنما الغاية التي يسعى إليها، ويخضع لها في النهاية كل أفعاله.(Augustin, 1994) "

فالحقيقة الانسانية عند أوغسطين من الناحية الزمنية لا تؤسّس على الحاضر أو بصيغة أوضح ليس كل من ينتسب إلى مدينة معينة هو عضو فيها، لأن المجرمين هم أيضا أعضاء في المدينة الأرضية مع المؤمنين، ولكنه ينظر إلى المستقبل، وعلى التجسيد الفعلي، والعملي للقيم، وليس على الشعارات.

ومدينة الله التي (قوامها جماعة الأخيار) هي النموذج الفعلي لهذه المواطنة، فهي على حدِّ تعبير ليو شتراوس (**Leo Strauss** لا تتكون فقط من أتباع المسيح، والعابدين للإله الحقيقي، إنها تتكون من أناس إلهيين، وقد توصف حياتها كلها بأنها حياة الإذعان الورع لعالم الله، وتوجد فيها،وفيها فقط العدالة الحقيقية.. (شتراوس، صفحة 288)

وفكرة خضوع الدولة لقانون الله أو القانون الأعلى الذي يعلو على التصرفات البشرية، وفكرة استعمال القوة لحاجة الدولة في تحقيق العدل والحق، (درويش، 1973)التي قال بها شيشرون، كانت قاعدة اعتمد عليها القديس أوغسطين في الخروج من مأزق الحكم بفساد المدن الأرضية، فليست جميع المدن الأرضية فاقدة للشرعية أو مدنا فاسدة،أما العدالة الحقيقية فهي عدالة الله، فالمدن الأرضية ليست كاملة، وكل حاضرة أرضية ،تتفق مع تصور شيشرون تحتوي على خصائص حاضرة الله، وإن كان يفترض عمليا أن كل مجتمع منظّم وفقا لقانون وضعي، هو دولة سياسيّة.

والقراءة الأولية لنموذجي المدينة مدينة الله و المدينة الأرضية توحي بالانفصال والمفارقة،بينهما ولكن القديس أوغسطين يقدّم مشروعا سياسيا يُخفِّف من حدّة التعارض الموجود بين النزعتين الرغبة في الحياة والسعادة الدنيوية، والخوف من المجهول (العالم الآخر)، فمدينة الله لا تبطل الحاجة إلى المجتمع المدني، بل تكمله، فالمواطن الإلهي هو مواطن في مدينة أرضية،ولكن أخلاقه إلهية، فالغرض والغاية من الخلق هو تجسيد القيم الأخلاقية العليا التي يكون الله هو النموذج الأول لها، وعيسى المسيح سلام الله عليه.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

العضوية في مدينة الله تحقق السلام والسكينة للمواطن"إنه يمكن للمرء من حيث إنه عضو من أعضاء مدينة الله، فقط، وعن طريق علاقته بنظام يجاوز المجال السياسي أن يحقق السلام والسعادة اللذين يطمح إليهما كل الناس، حتى الأشرار" (Augustin، 1994، صفحة 192)

والعضوية أو المواطنة في مدينة الله لا تلغي المواطنة في مجتمع دنيوي مؤقت،وإنما تحافظ عليها وتكملها فالمدينة الإلهية هي مدينة القيم، ومن خلالها معرفة قيم هذه المدينة يتسنّى لنا معرفة صفات المواطن النموذجي العالمي . بحكم أن المسيحية عالمية . الذي تسعى ثقافة العولمة للترويج له.

فالمواطنة عند اوغسطين تلتقي مع نموذج المواطن الذي نادت بها الفلسفة الرواقية، فالمواطن العالمي **Cosmopolite** يشبه إلى حد بعيد المواطن المسيحي **Oranopolite** الذي أقرّته المسيحية،فالإنسان بالمنظور الرواقي هو عضوا في مجموعة عريضة ذات أبعاد كونية ؛فحاضرة أو مدينة الحكيم هي **Cosmos**؛ ومن هنا ظهر مفهوم الحاضرة العالمية (**Cosmopolis**) أو مدينة العالم.

فالاشتراك بين البشر في السنخية أو الجبلة هو الذي يشعر الجميع بالمشابهة والمساواة، والعالم يسير أصلا وفقا لمبدأ اللوجوس الكوني، فهو نظام واتساق بالأصالة ولا يتضمن أي تفاوت أو حيف؛ أما الانتماء إلى شريحة أو إثنية معينة فهو يورث التصادم القائم على الأنانية الفردية أو الأنانية الجماعية، والمواطنة المسيحية تنطلق من كونية القيم الأخلاقية ووحدتها الإنسانية، فالفضاء السياسي للمواطنة الأوغسطينية قائم على الأخلاق، فسعادة المواطن والسلام والطمأنينة يكمن في تجسيده للقيم الأخلاقية المرتبطة بالقانون الإلهي.

أما المواطنة العالمية التي تدعو إليها الرواقية فهي متعالية ومجردة عن المكان يقول سينيكا في [الرسائل الأخلاقية إلى لوكيليوس]:" في أي مكان متوحِّش من أركان البسيطة وجدت نفسك، فهذا المكان مهما كان موحشا فهو مقام كريم، أنت نفسك أهم بكثير من أي مكان تأتي إليه ولهذا السبب يجب ألا تسمح لأي مكان باستعباد عقلك؛ عش مؤمنا بهذه الفكرة: إني لم أولد لأي جزء من هذا الكون، فهذا العالم كله وطني.. " (سعيد، 1999)

من هنا تبدو المقاربة بين الفكر الروّاقي والفكر المسيحي في شمولية وعالمية المبدأ وإن كان الاختلاف ليس إلا شكليا [البعد الديني الإلهي]، فالقانون الأخلاقي عند الرواقية هو قانون الوجود، والوجود هو الحياة، والحياة هي ممارسة الوظائف بطريقة طبيعية سوية،فليست السعادة سوى شعورنا بأننا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لا نمارس وظائفنا في انسجام تام ...والإنسان حين يريد حياته، إنما يريد سعادته، وهو حين يريد سعادته، فهو إنما يريد أن يجيء كل شيء مطابقا لقانون الطبيعة" (إبراهيم، 1969).

فعالم المواطن المسيحي وعالم المواطن الرواقي واحد مادام القانون أو لوجوس الوجود واحدا ألا وهو الله وما نرغب في بيانه هو اكتشاف القيم الأخلاقية الظاهرة والمستترة في طيّات كتاب مدينة الله.

ومن هذه القيم ..الحب، فالولاء للسلطة من طرف المواطن سواء كانت سلطة الله مدينة الله أو الولاء لسلطة المدينة الأرضية ينطلق من الحب، فالارتباط العاطفي بين المواطن والحاكم يمنح الشرعية والمشروعية للسلطة، ويحفز المواطن على الفناء في المحبوب مهما كان موضوع الحب، فالحب مبدأ تبنى عليه السلطة وليس فقط رابطة بين المواطن والسلطة.

ونستشف هذا التصور في ما يقوله القديس أوغسطين:" حبان صنعا مدينتين، حب الذات حتى احتقار الله صنع المدينة الأرضية، وحب الله حتى احتقار الذات صنعا المدينة الإلهية ..فالأولى تبحث عن المجد لدى الناس، في حين أنه بالنسبة للثانية فإن الله هو شاهد على ضميرها،وهو مبدأ فخرها." (Augustin، 1994، صفحة 191).

فالحب ليس نجسا في طبيعته بل بالعرض، إذ يصبح أخلاقيا وضروريا إذا كان متعلق الحب موضوعيا وأخلاقيا، فتقديم الغير على الذات هو حب للإنسان وليس نكرانا للذات، يقول القديس أوغسطين:".. نرى زعماءها . زعماء مدينة الله . الموجهين ينذرون أنفسهم للمحبة.."

فالمواطن المسيحي إذن يؤمن في داخله أنه مدعو لأن يكون فردا أو عنصرا في مجتمع أكثر اتساعا من المجتمع البشري الذي ينتمي إليه بالفعل، وهذا المجتمع هو مجتمع العدول أو الأشخاص العادلين الذين يتمتعون بسعادة أبدية،والذين يتألف منهم ملكوت السموات أو مدينة الله، والقيم الأخلاقية التي تبنى عليا المواطنة، هي العمل وفق القانون (القاعدة الإلهية) فالأخلاقي ليس ما يُقرِّره المجتمع أو الفرد أو الدولة بل الله هو الذي يمنح المشروعية الأخلاقية للفعل، فتحديد القيم وتأسيسها يخضع لمقياس القرب أو الابتعاد عن الله.

يقول:"..الفضائل التي تعتقد النفس بامتلاكها وبفضلها تسيطر على الجسد وعلى الرذائل، هذه الفضائل هي في الواقع رذائل إذا ما ابتعدت النفس عن الله، ففي الواقع هي فضائل بحد ذاتها، إلا أن الغرور الذي يصيب النفس بابتعادها عن الله يحولها من فضائل إلى رذائل .."

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن بين الفضائل الأخلاقية فضيلة السلام القيمة التي يطلبها المواطن في المدينة ومن المجتمع المدني تقوم على نوعية وشكل العلاقة مع الله ." تعيس هو الشعب الذي يبتعد عن الله ؛ فهو يحب السلام ولا مجال لرفضه،لكن هذا الشعب لا يملك السلام النهائي لأنه أساء استعمال هذا السلام ...أما بالنسبة لسلامنا نحن على الأرض مع الله بالإيمان، وسيصبح في الأبدية معه بالرؤيا.."

يتقاطع اوغسطين في تأصيل العلاقة بين الأنا والغير مع جميع الديانات التوحيدية، وبالأخص الاسلام، فالكل يعود الى أصل واحد، "كلكم لآدم وآدم من تراب " والقول بوحدة الأصل يستتبعه الايمان بوحدة البشرية، ومنه يسود مبدأ الاحترام وتقديس الانسان ككائن مكرم صاحب حق في الحياة الكريمة، والتسليم بمعلولية الانسان الأول يجعل الايمان بالله كأصل مشترك بين العقائد مسيحية كانت أو إسلامية، وتصبح العلاقة بين الانا والاخر قائمة على هذا الركن، لأنّ المشترك هو الذي يجمع المختلف، يقول الأب جورج قنواتي:" ..يعتقد المسيحيون والمسلمون أن وجود الله يثبته العقل ويؤكّده الوحي. فقد أقام علماء الدين المسيحيون والمسلمون براهين شتّى مختلفة ولكنّها متشابهة لإثبات وجود الله، وتحثّ الكتب المقدّسة على التأمل والاعتبار في آيات الله الكونية والنفسية، فهناك تشابه كبير بين علم التوحيد المسيحي وعلم التوحيد الإسلامي برغم الفوارق. (قنواتي ، 2014، صفحة 17)

الانسان والسعادة:

السعادة والحقيقة شيئان مترادفان، في فلسفة أوغسطين، ومصدرهما واحد هو الله، فالسعادة الأصلية التي ينشدها الانسان تتوافق مع طبيعته الأولية هي النعيم في الله، ومن أجل الله، وسبيل تحقيقها يكون من خلال معرفة القانون الأبدي أو قانون الطبيعة الذي يتصف بالثبات، والمطلقية، وهو موجود داخل الجميع، يستمد وجوده وشرعيته من الله، هو القانون الإلهي، الذي يكمن بداخل الانسان، وهو ما يعرف في فلسفة الأخلاق بالضمير أو الوجدان الأخلاقي، والخير كصفة يتحدد عن طريق السير وفق القانون الطبيعي، والشر هو العمل خلافا لهذا القانون، فالخير يملك وجودا انطولوجيا، بخلاف الشر الذي هو صورة سلبية، فالشر سلب للخير، أي سلب للنظام، والفضائل الأخلاقية تقوم على فضيلة الحب حب الله، والعدالة وسائر القيم تعود إلى الحب.

ومحبة الغير عند أهل الحب مدخلا، وغاية في ذات الوقت، إذ لا يمكن الوصول الى المحبوب الا من خلال محبّة الآخرين، فالطريق الى الله يكون من خلال آياته، والتدرج في معرفة الحكم والقيم المتضمنة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

داخل كل آية، ومطلبية المحبة ووجوبها لا تستلزم التحرر من القيم، والضوابط بل تكون مرتبطة بالمطالب الشرعية، وتحديد الأولويات، والمقامات، فالدين جاء من أجل تكريس ثقافة المحبة، ونبذ الفرقة والكراهية، وعندما سئل النبي الأكرم عن الحب، أجاب : وهل الدين الا الحب ؟

وفي فذلكة البحث نقول إن المدينة التي لا تعمل على نشر الحب بين أبناء البشر – المدينة الكونية – لا تستحق البقاء، والمدينة الأرضية التي لا تمكِّن مواطنيها من الارتقاء والتسامي تكون في حقيقتها عائقا أمام تفتق الملكات والقدرات الفردية، والدين كمنظومة فكرية وعقدية ركن رئيس في المدينة، ومنه تستمد السلطة الادارية قوانينها التنظيمية، فالاعتقاد الفاسد قيمياً وأخلاقيا ينتج مدينة فاسدة بالضرورة.

Bibliographie

Augustin, S. (1994). La cité de Dieu. Paris, France: Du seuil.

إبراهيم ,ز .(1969) .المشكلة الخلقية .(éd)د.ط .(مصر ,مصر :مكتبة مصر.

الخضيري ,ز .(1998) .لاهوت التاريخ عند القديس اوغسطين .القاهرة :دار قباء للنشر والتوزيع .

السعود ,ع .أ .(1997) .الأمل و اليونيا عند مارك بلوخ .(éd. 1)الإسكندرية :منشأة المعارف.

الطويل ,ت .(1991) .قضية الإضطهاد الديني في المسيحية و الإسلام .(éd)ط .(1القاهرة ,مصر :دار الزهراء للإعلام العربي.

اوغسطين ,ا .(2012) .اعترافات القديس اوغسطين) .ا .الغربي (.Trad ,تونس :بيت الحكمة.

بدوي ,ع .ا .(1984) .موسوعة الفلسفة .(éd. 2)بيروت :المؤسسة العربية، بيروت.

توتشار ,ج .(.s.d) .تاريخ الفكر السياسي) .ع .مقلد(.Trad ,

درويش ,إ .(1973) .النظرية السياسية في العصر الذهبي .(éd)د.ط .(دار النهضة العربية.

دعاء خضر. (05 03, 2017). بين الثقافة والهوية. تم الاسترداد من .academia.adu.

راسل ,ب .(1968) .تاريخ الفلسفة الغربية) .(éd. 2)ز .ن .محمود (.Trad ,القاهرة ,مصر :لجنة التأليف و النشر.

راسل ,ب .ت .(1983) .حكمة الغرب) .(Vol. 62)ف .زكرياء (.Trad ,الكويت :سلسلة عالم المعرفة.

زكرياء أحمد عزام. (2008). مبادئ التسويق الحديث. عمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

زيعور ,ع .(1983) .اوغسطينوس .بيروت :دار اقرا.

سباين ,ج .(1969) .تطور الفكر السياسي .(éd)د.ط) .(Vol. 2 ,ح .ج .العروسي (.Trad ,مصر ,مصر :دار المعارف.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

سعيد ,ج .ا .(1999) .فلسفة الرواق .éd)د.ط .(تونس :مركز النشر الجامعي.

شتراوس ,ل .(s.d.) .تاريخ الفلسفة السياسية .

شوفالييه ,ج .ج .(1998) .تاريخ الفكر السياسي) .(éd. 4)م .ع .صاصيلا (.Trad ,بيروت ,لبنان :المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.

عبد الرحمن بدوي. (1979). ،فلسفة العصور الوسطى. ،بيروت: ،دار القلم.

فريس ,ك .ج .(s.d.) .اوغسطين .بيروت.

قنواتي ,ج .ش .(2014) .المسيحية والحضارة العربية .مصر :الهيئة المصرية للكتاب .

كانتور ,ن .(1997) .التاريخ الوسيط) .ع .ق .قاسم (.Trad ,مصر :عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.